

## تميز السيرة النبوية وتفردتها في خصائصها ودورها في إصلاح الحاكم والمجتمع

أ.د/ حسن على الشايقي<sup>(\*)</sup>

### مقدمة :

السيرة النبوية في الأصل هي الكتاب والسنة - إنك لا تعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إذا عرفت الكتاب الذي أنزل عليه وعرفت مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقريراته وتلك هي سنته .  
وقد كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، كما أخبرت بذلك السيدة عائشة رضي الله عنها .  
والقرآن هو سجل حافظ لأهم الأحداث في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هنا فإن القرآن هو سيرته وكذلك فإن أقواله وأفعاله وتقريراته هي سيرته .  
وبهذا المعنى نقول : إن السيرة النبوية تسع الزمان والمكان والأشخاص في منهج متكامل متجدد ، فما من وضع للإنسان وللناس وللمكلفين إلا والسيرة النبوية تسعه قدوة وعملا مع ملاحظة أحوال الناس من ضعف إلى قوة ، وما دام الإنسان على مقتضى الفتوى فإنه على نوع من القدوة<sup>(1)</sup> .

وقد اتسعت لفضلة السيرة بعد ذلك لتشمل سير الصحابة والزهاد والعلماء على أن كُتِّبَت السيرة درجوا على أن يرسموا صورة لشخصه ومسرى لأحداث حياته عليه الصلاة والسلام، ومن هنا أصبحت السيرة في الإصطلاح جزءا من كل واصبحت علما على علم خاص أشبه بالتاريخ الشخصي وما يحيط به<sup>(2)</sup> .  
إن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تتميز عن سير الأنبياء والصالحين وتفرد في صفاتها بصحة مصادرها وكمالها وتامها وواقعيتها وهي الطريق الامثل لإصلاح الحاكم والمجتمع .

إن إصلاح الحاكم والمجتمع وتزكية النفوس أهم واجب وأقدس عمل يمكن أن يقدم إلى هذا العالم - وقد تمثلت كل شعب الأخلاق في سيرة النبي صلى الله عليه

\* أستاذ / كلية الدراسات الإسلامية - جامعة إفريقيا العالمية

(1) سعيد حوي ، الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية ٩٥/١ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة القاهرة ط

الناصفة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

(2) حاجي خليفة ، كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون ، ٢/

## ← أ.د. حسن على الشايقي

وسلم من زهد وتقوى وطهارة وعفة واحسان وكرم وحلم وعضو وعزم وثبات وايثار ولطف وغيره وغني ، والطريقة التي تعارف عليها الناس لتحقيق هدف إصلاح الفرد والمجتمع هي الوعظ والنصيحة أو تأليف الكتب لنشر هذه القيم والأخلاق أو باستخدام وسائل الاتصال التي تطورت كثيرا في عالمنا اليوم .

كما يمكن تحقيق هذا الهدف عن طريق إجبار الناس بالقوة على الأخذ بمحاسن الأخلاق وترك الرذائل .

غير أن أصح الطرق وأكملها لا يكون بالقول فقط ولا بتأليف الكتب ووسائل الاتصال فقط ولا بإجبار الناس وقسرهم على سلوك هذا الطريق . إنما بتقديم نموذج عملي يحتذي به الناس ، نموذج حي يمثل فضائل الاخلاق .

وهذا هو الطريق الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك أن كل دعوة لا يتأتي لها النجاح والانتشار ما لم يكن لها من صاحبها والداعين إليها قدوة صالحة في التطبيق العملي في إخالقهم وسلوكهم ومواقفهم في الحياة<sup>(3)</sup> .

إن البلاغ الذي أكمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة وأقام به مجتمعا ودولة في الجزيرة العربية قد اتسع أثره ليكون نموذجا لإصلاح المجتمعات الإنسانية كلها منذئذ وإلى أن يرث الله الارض ومن عليها .

الله سبحانه وتعالى خاطب نبيه فقال (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)<sup>(4)</sup> وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)<sup>(5)</sup> .

فكيف لهذه الرسالة التي أريدت للناس كافة أن تبلغهم ، وقد توفى الله رسوله والرسالة لم تتجاوز حدود الجزيرة العربية ؟

لا بد أن ما قام به صلى الله عليه وسلم في تلك الحقبة وما تركه وراءه للناس كفيل بأن يحمل الرسالة إلى آفاق الأرض ، وأن يكون ذلك الإنتقال متجددا مع الزمان فلا تزال الرسالة تبلغ الناس وتنتقل عبر الأجيال والآفاق إلى يومنا هذا .

وجواب هذه المسألة ، أن الله جعل كتابه الموحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم خالدا وجعله محفوظا من التحريف (إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)<sup>(6)</sup> .

(3) سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ، مجمع البحوث العلمية ص ٤٣ ، الجامعة الإسلامية ، إسلام آباد ١٣٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(4) الأنبياء ( ١٠٧ )

(5) سبأ ( ٢٨ )

(6) الحجر ( ٩ )

ثم أن الكتاب الخالد اكتمل وحيه لرسوله صلى الله عليه وسلم واكتمل في نفس الوقت بيانه وترجمته إلى مجتمع نموذجي مائل ، فليس الامر مقتصرًا على بلوغ الرسالة للناس ، بل إن المعاني والقيم والإرشادات التي حوتها الرسالة بينها الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم في سيرته وفي سنته وكانت هذه السيرة هي النموذج التطبيقي للرسالة الموحاة وبقيت مثلاً أعلا يحتذيه المصلحون من بعد ويقتدون به ، ومغزي هذا النموذج الإصلاحي للمصلحين من بعد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمد في تأسيسه على الخصوصيات ولكنه أسسه بسيرة مثالية في درجتها وبشرية في طبيعتها ، فهو يبلغ بلسان ولكنه بليغ ويجاهد بصبر ولكنه عظيم ، يتعبد الله في حدود طاقة الجسد ولكن الجسد قوي ، وهكذا كانت سيرته مع المدد الغيبي والتأييد الإلهي سيرة بشر يشرّع للبشر من بعده ولا يتجاوز الحد الذي يطيقونه - فإن جاوزه في شيء أبغهم أن ذلك له وحده وليس عليهم أن يتابعوه فيه كما حدث في نهيهِ عن الوصال في الصوم وقال ( إنى أبيت يطعمني ربي ويسقيني )<sup>(7)</sup>.

إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد البعثة لم تتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة بعدها انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى .

إن هذه المدة قصيرة في عداد الزمن ولاشك أن من كمال هذه السيرة وعظمتها وديمومتها ان المبادئ التي دعا لها النبي صلى الله عليه وسلم هي الأسمى حتى يومنا هذا من جهة القيم والأخلاق واحترام الحقوق وتكريم الإنسان وحرية .

وما زال الإسلام هو الأكثر انتشاراً بين البسطاء والمثقفين على حد سواء وهذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعظمة سيرته .

إن هذا البحث محاولة لإبراز تميز سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على غيرها وبيان منهج النبي صلى الله عليه وسلم في إصلاح الحاكم والمجتمع وقد رأيت تقسيمه إلى محورين :

المحور الأول: تميز سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على سيرة الأنبياء عليهم السلام وتفردتها في الخصائص.

(7) عبدالرحيم عل (د.) منهاج النبوة والإصلاح الاجتماعي ، المركز القومي للإنتاج الإعلامي ص ٣٦/٣٧ - ١٩٩٧ م ،

والحديث أخرجه البخاري في كتاب الصوم ٢٤٤/٢

والمحور الثاني : تأسيس دولة الإسلام الأولي ومقومات الحكم الراشد ومسؤولياته.

**المحور الأول :** (أ) تمييز سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على سيرة الأنبياء عليهم السلام إن كل خير يراه الإنسان في بقعة من بقاع الأرض وكل نور يومض في كل أمة حتى لو كان ضئيلاً ، وكل أثارة من صلاح أو كرم خلق أو صفاء سريرة وطهارة قلب فإن مرده في الاصل إلى رسالات الله ، أي إلى هداية الأنبياء عليهم السلام. إن أقطار الارض على سعتها قد بلغت دعوة الأنبياء وطرفت مسامح أهلها سنن هدايتهم وأحكام تشريعهم وما من أمة إلا وقد أرسل الله إليها رسله منذرين ومبشرين لقوله تعالى ( وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ )<sup>(8)</sup>. إن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي الاسوة الحسنة لجميع البشر ، ولقد كان الأنبياء جميعاً على خلق عظيم ، وقد أوتوا من حميد الخصال ومعالي الأخلاق ما لم يؤت أحد غيرهم مثلهم .

غير أن منهم من تجلى فيه خلق من الأخلاق ، فكان أبرز فيه من غيره ، فنبي الله نوح اهتم بتبليغ الدعوة وأبراهيم عليه السلام كان شديد العناية بالتوحيد وحب الأيتار إلى اسماعيل عليه السلام وجاهد موسى جهادا عظيماً وآزره في الحق أخوه هارون وظهرت الإنابة والاعتراف بالخطأ في يونس عليه السلام وغلب على يعقوب التسليم والطهر أما عيسى عليه السلام فكان زاهدا معرضاً عن الدنيا وزهرتها أما النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد تجلت فيه كل هذه الصفات وأكثر منها<sup>(9)</sup>. ومن العجيب أن صور حياة الأنبياء ( عليهم السلام ) التي وصلت إلينا ناقصة، فنحن لا نعلم من حياة عيسى عليه السلام التي امتدت إلى ثلاث وثلاثين سنة سوى أحداث ثلاث سنوات فقط ، كما لا نعلم عن حياة مصلحي بلاد فارس إلا ما ذكر في الشاهنامة ، وأما الأنبياء الذين أرسلوا إلى الهند فقد اختلطت أخبارهم بالقصص الخيالية ، كما لا نعلم عن موسى عليه السلام إلا ما ذكرته التوراة التي بين أيدينا والتي كتبت بعد وفاته بثلاثمائة عام ، كانت تلك إشارة إلى أن الديانات السابقة وتعاليمها لم تكن أبدية ، لذلك فإن الصور الناقصة التي فصلتها إلينا مرآة النقل

(8) سورة فاطر ، آية (٢٤)

(9) سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ، مرجع سابق ، ص ٤

تميز السيرة النبوية وتفردتها في خصائصها ودورها في إصلاح الحاكم والمجتمع →

والرواية عن هؤلاء الأنبياء والمصلحين كانت كافية آنذاك ، ولم تكن البشرية في ذلك الوقت تحتاج إلى أكثر منها ، إن الله سبحانه وتعالى يعرف حاجة البشر ، فما كانت البشرية في حاجة إلى شيء إلا وجدنا القدرة الإلهية توفره لها .

ولاشك أن كل صاحب دين – أيا كان هذا الدين يعتز بدينه ، ولكن لا يوجد من الأنبياء والمصلحين من سجلت حياته تسجيلا دقيقا وشملت جميع تفاصيلها من اقوال وأفعال وحركات وصفات ، كيف يمشي بين الناس ، كيف يتكلم وكيف كان سلوكه وتعامله مع الناس وكيف كان أكله وشربه ونومه ويقظته وضحكه وغضبه ، غير محمد صلى الله عليه وسلم (10) .

إن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تمثلت فيها أعمال كثيرة متنوعة بحيث تكون الاسوة الصالحة والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية في جميع أطوارها لأنها جمعت بين الأخلاق العالية والعادات الحسنة والعواطف النبيلة المعتدلة والنوازع العظيمة القويمة إذا كنت غنيا مثريا فاقتد بالرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما كان تاجرا يسير بسبعته بين الحجاز والشام وحين ملك خزائن البحرين ، وإن كنت فقيرا معدما فلتكن لك أسوة به وهو محصور في شعب أبي طالب ، وحين قدم إلى المدينة مهاجرا إليها من وطنه وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئا وإن كنت ملكا فاقتد بسنته وأعماله حين ملك أمر العرب وغلب على آفاقهم ودان لطاعته عظماءهم وذوو أحلامهم .

وإن كنت رعية ضعيفة فلك في رسول الله أسوة حسنة أيام كان بمكة في نظام المشركين . وإن كنت فاتحا غالبا فلك في حياته نصيب أيام ظفروه بعدوه في بدر وحين ومكة ، وإن كنت قد خسرت المعركة ، لا قدر الله ، فاعتبر به في يوم أحد وهو بين أصحابه القتلي ورفقائه المشخنين بالجراح ، وإن كنت معلما فانظر إليه وهو يعلم أصحابه في صفة المسجد . وإن كنت تلميذا متعلما فتصور مقعده بين يدي الروح الأمين جاثيا مسترشدا ، وإن كنت واعظا ناصحا ومرشدا أمينا فاستمع إليه وهو يعظ الناس على أعواد المسجد النبوي . وإن اردت ان تقيم الحق وتصدع بالمعروف وأنت لا ناصر لك ولا معين فانظر إليه وهو ضعيف بمكة لا ناصر ينصره ولا معين يعينه ومع ذلك فهو يدعو إلى الحق ويعلن به ، وإن هزمت عدوك وكسرت شوكته وقهرت عناده فظهر

(10) شبلي النعماني ، فن السيرة النبوية ، تاريخ وأصول ، مقدمة كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ترجمة ودراسة ، د. محمد علي غوري ، مركز حجة ماجد للثقافة والتراث ، ص ٣٧ ، ٣٨

## ← أ.د. حسن على الشايقي

الحق على يدك وزهق الباطل واستتب لك الأمر فانظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة وفتحها .

وإن أردت أن تصلح أمورك وتقوم على ضياعك فأنظر إليه صلى الله عليه وسلم وقد ملك ضياع بنى النضير وخيبر وفدك كيف دبر أمورها وأصلح شؤونها وفوضها إلى من أحسن القيام عليها .

وإن كنت يتيما فانظر إلى فلذة كبد آمنة وزوجها عبد الله وقد توفيا وابنهما صغير رضيع ، وإن كنت صغير السن فانظر إلى ذلك الوليد العظيم حين أرضعته حليلة السعدية وإن كنت قاضيا أو حكما فانظر إليه وقد قصد الكعبة قبل بزوغ الشمس ليضع الحجر الأسود في محله وقد كاد رؤساء مكة يقتتلون ثم ارجع البصر إليه مرة أخرى وهو في فناء مسجد المدينة يقضي بين الناس بالعدل يستوى عنده منهم الفقير والمعدم والغني المثرى .

وإن كنت زوجا فأقرأ السيرة الطاهرة والحياة النزية لزوج خديجة وعائشة .

وإن كنت أبا فتعلم ما كان عليه والد فاطمة الزهراء وجد الحسن والحسين .

وإيا ما كنت وفي أي شأن كان شأنك فإنك مهما أصبحت أو أمسيت وعلي أي حال بت أو أضحيت فلك في حياة محمد صلى الله عليه وسلم هداية حسنة وقدوة صالحة تضيء لك بنورها دياجي الحياة وينجلي لك بضوئها ظلام العيش فتصلح ما اضطرب من أمورك وتقوم بسنته ما أعوج ، وإن السيرة الجامعة بثتى الأمور هي ملاك الأخلاق وجماع التعاليم لشعوب الأرض وللناس كافة في أطوار الحياة كلها وأحوال الناس على اختلافها وتنوعها ، فالسيرة المحمدية نور المستتير ، وهدايا نبراس للمستهدي وإرشادها ملجأ لكل مسترشد<sup>(11)</sup> .

يقول أحد البراهمة : إن رسول الإسلام أعظم رجال العالم وأكملهم ويقول إنه يرى أن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تجتمع في تاريخ العالم لإنسان واحد في آن واحد .

فقد كان ملكا دانت له الأوطان يصرف الأمر فيها كما يشاء وهو مع ذلك متواضع في نفسه يرى أنه لا يملك من الأمر شيئا ، وأن الأمر كله لله .

(11) سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ ، مرجع سابق

وتراه في غنى عظيم تأتيه الأبل موقرة بالخزائن إلى عاصمته ويبقى مع ذلك محتاجا ولا توقد في بيته نار الطعام في الأيام الطوال ، وكثيرا ما يطوي على الجوع . ونراه قائدا عظيما يقود الجند القليل العدد فيقاتل بهم ألوفا مدجدين بالسلاح ثم يهزمهم شر هزيمة .

ونجده محبا للسلام موثرا للصلح ويوقع شروط الهدنة على القرطاس بقلب مطمئن وجأش هاديء، ومعه ألوفا من أصحابه ، كل منهم في حماسة وبأس شديد ، ونشاهده بطلا شجاعا يصمد وحده لآلاف من أعدائه غير مكترث بكثرتهم وهو مع ذلك رقيق القلب رحيم متعفف عن سفك قطرة دم ، ونراه مشغولا بجزيرة العرب كلها بينما لا يفوته أمر من أمور بيته وأزواجه وأولاده ولا من أمور فقراء المسلمين ومساكينهم . وبالجملة إنه إنسان يهمله أمر العالم كله وهو مع ذلك متبتل إلى الله منقطع عن الدنيا ، فهو في الدنيا وليس فيها لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله ، ومناجاته .

نحن معشر المسلمين نؤمن برسالات الله كلها وبجميع الرسل ونعظمهم بلا استثناء مع علمنا بأنهم متفاضلون (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) (12) . ولم يتم الدوام والبقاء إلا لسيرة آخر المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم أما غيره من الأنبياء فلم تختم النبوة بأحد منهم ولم تكن سيرتهم خالدة بل ولا محفوظة ، وقد أرسلوا إلى أممهم خاصة وإلى زمن خاص بأجل مسمى فكانت حياتهم أسوة للذين أرسلوا إليهم في عهدهم ، ثم نسيت تلك السيرة بكر الليالي ومرور الأيام (13) . ولا يعلم بالتحديد عدد الرسل لقوله تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) (14) .

إن من أكثر الأنبياء ذكرا وأوضحهم حياة موسى عليه السلام ، تري ماذا تقول اسفار التوراة الخمسة عن حياته ؟ لا نجد في هذه الأسفار الخمسة من التوراة عن حياة موسى إلا أنه بعد ولادته تربي في قصر فرعون ، ولما بلغ مبلغ الرجال نصر قومه بني إسرائيل على ظلم فرعون مرة أو مرتين ، ثم هرب من مصر إلى مدين من بلاد العرب وتزوج فيها وأقام هناك برهة من الزمن ثم رجع منها إلى مصر بينما هو في طريقه إليها

(12) البقرة ٣٥٢

(13) سليمان الندوي - الرسالة المحمدية ، مرجع سابق ، ص ٥١

(14) سورة غافر الآية (٧٨)

## ← أ.د. حسن على الشايقي

أوحى إليه من ربه وبعث إلى قومه نبيا وداعيا ثم لقي فرعون وآراه آيات بينات واستأذنه في الخروج ببني إسرائيل من مصر فلم يأذن له بذلك.

فخرج بهم على حين غفلة من فرعون ، ووجد في البحر طريقا بإذن الله ، وتبعه فرعون فأدركه الغرق ، أما موسى فقصده بقومه غلي بلاد العرب ودخل بهم أرض الشام وجاهد من كانوا على الشرك من أهلها ومازال يقاتل ويجاهد إلى أن هرم وبلغ من العمر عتيا وأرغشه الكبر فجاءه الموت وهو على ربوة - اختتم سفر التثنية : إن عبد الله موسى مات بإذن الله في أرض موآب مقابل بين فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم (15).

وإذا قارنا بين المعلومات المتاحة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما وصل إلينا في سير الأنبياء - فإن البون شاسع ، فقد فصل القرآن سيرته وذكرته السنة جملة عظيمة منها وأكمل علماء السيرة والتاريخ ما بقي منها فهي واضحة بينة مفصلة .

إن عيسى عليه السلام عاش عيشة المغلوبين المحكومين فلا غرو إذا لم نجد في حياته مثالا من واجبات الحاكم الغالب ولم يكن له عليه السلام زوجة لذلك لا نرى في حياته مثالا لما ينبغي أن يتبادل له الزوج والزوجة من واجبات وحقوق خصوصا وأن الذي بين الزوجين من الصلة أوثق وأشد من الذي بين الأولاد وآبائهم كما جاء في سفر التكوين في التوراة (16) ..

إن الحياة المثالية لن تكون أسوة للناس ما لم تكن أعماله صاحبها مثال وأنموذج لمن يدعو إليه ولا يتطرق الشك إلى الناس بأن ما يدعو إليه هو ما يعمل به (17).

### بد تفرد السيرة في خصائصها

كان السلف الصالح يعلمون أبناءهم سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كما يعلمون السورة من القرآن لكي ينشأوا على الفضائل وينهضوا إلى المكارم ويتخذوا من الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا أعلى وقدرة صالحة ينالون باتباعه واقتفاء أثره خير الدنيا وسعادة الآخرة (18).

(15) سفر التثنية ٣٤ : ٥ - ١٠

(16) سفر التكوين (١/ ٢٧-٨ : ١٥-١٩)

(17) سليمان الندوى : مرجع سابق ، ص ٧٠

(18) أبوزهرة ، محمد بن أحمد ، خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ص ٧ ، دار إحياء التراث الإسلامي ، قطر

## • تميز السيرة النبوية وتفردتها في خصائصها ودورها في إصلاح الحاكم والمجتمع →

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل قومه من عبادة الأصنام إلى عبادة الحق، ونقل العالم كله من ركود إلى حركة ومن فوضى إلى نظام ومن مهانة حيوانية إلى كرامة إنسانية ، ولم ينقله هذه النقلة قبله ولا بعده أحد من أصحاب الدعوات<sup>(19)</sup> .  
فما هي خصائص سيرته صلى الله عليه وسلم ، من خصائص سيرته صلى الله عليه وسلم أنها عملية واقعية . وفيما يلي بيان تلك الخصائص :

### ١- تاريخية واضحة المصادر

تعد السيرة النبوية أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل أو عظيم أو مصلح ولا بد لكل سيرة من سير الكمال الإنساني يُدعي الناس للاقتداء بها واتخاذها أسوة أن يدعمها التاريخ ويشهد لها المحققون - إذ إن النفوس البشرية لا تتأثر بالأساطير والأوهام كتأثرها بحوادث التاريخ والروايات الثابتة عن الثقات الإثبات.  
وتتبين صحة السيرة من معرفة أهم مصادرها ، وهي :

١- القرآن الكريم .

٢- كتب الحديث .

٣- كتب السيرة والتاريخ

## القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كلام الله المسموع من القاريء المحفوظ في الصدور ، المكتوب في المصاحف المقروء بالالسنه ، الذي أنزله الله على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام<sup>(20)</sup> .

ولقد تم التسجيل الكتابي للقرآن الكريم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأكرم الله بحفظه من شاء من أهله ، وقام أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفا حرفا لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ولا إثباتا ولا حذفًا ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم<sup>(21)</sup> .

(19) عباس العقاد ، عبقرية محمد ، ص ١٥ ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ١٩٦٩

(20) ابن حزم ، علي بن سعيد ، المحلي ، تحقيق أحمد محمد شاكر - دار التراث، القاهرة، ٣٢/١

(21) ابن الجزري ، محمد بن محمد ، النشر في القراءات العشر ، مكتبة القاهرة ، ٥٠/١

ومن أعظم نعم الله على المسلمين وعلى البشرية جمعاء أن تكفل الله بحفظ كتابه في قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (22). ولقد تحدث القرآن في كثير من آياته عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نشأته في قوله (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) { ❖ } وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى { ❖ } وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (23). وتحدث عن أخلاقه الكريمة في قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (24). وقوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (25).

وتحدث القرآن عن انتصارات المسلمين في بدر في قوله تعالى (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (26). وتحدث عن هزيمة المسلمين في حنين عندما أعجبتهم الكثرة في قوله تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) (27).

وعاتب القرآن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أعرض عن عبد الله ابن أم مكتوم في قوله تعالى (عَبَسَ وَتَوَلَّى) { ❖ } أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى { ❖ } وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (28). وفي غير ذلك مما جاء في قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين زينب بنت جحش التي زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة وأراد الله أن يبطل عادة التبني وما يخلق بها عندما قضى الله بزواجها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وهكذا تلاحظ العدل والموضوعية في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرت في القرآن مما يؤكد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبوته وأن هذا القرآن أنزل من الله سبحانه وتعالى وهو المصدر الأول للسيرة الذي لا يتطرق إليه الشك.

(22) الحجر — آية (٩)

(23) القلم آية (٤)

(24) آل عمران آية (١٥٩)

(25) آل عمران آية (١٥٩)

(26) آل عمران ١٢٣

(27) النبوة آية (٢٥)

(28) عبس آية ٣ / ٢ / ١

### كتب الحديث :

كتب الحديث هي المصدر الثاني للسيرة وأبرزها الكتب السنة المشهود لها بالصحة ، البخاري ومسلم وأبود داود والنسائي والترمذي وابن ماجه ، ويضاف إليها موطأ الإمام مالك ومسنده الإمام أحمد بن حنبل وكتب الحديث هي ديوان السيرة وقد رويت بالإسناد المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - نقلها الصحابة رضوان الله عليهم ، وهم الذين عاشروا النبي صلى الله عليه وسلم ولازموه ونصر الله بهم دينه ، فكانوا أكمل أجيال التاريخ في استقامة الأخلاق وقوة الإيمان وصدق الحديث وسمو الأرواح وكمال العقول ، فكل ما أوردوه لنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالسند المتصل يجب أن نقبله بوصفه حقيقة تاريخية لا يخالجننا الشك فيها<sup>(29)</sup>.

ولقد تفرد المسلمون بابتكار علم الجرح والتعديل ليتمكنوا من خلاله من ضبط أحوال الرواة والتأكد من السند الذي يصل عن طريقه الخبر ولا يوجد لدى غير المسلمين مثل لهذا العلم في أي أمة من الأمم ، فقد أخرج الخطيب البغدادي بسنده قال سمعت أبا حاتم الرازي يقول ( لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم ، أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة ، فقال له رجل ، يا أبا حاتم ، ربما أوردوا حديثاً لا أصل له ولا يصح ، فقال : علماءهم يعرفون الصحيح من السقيم - فروايتهم ذلك للمعرفة ليتبين لمن بعدهم أنهم خبروا الآثار وحفظوها<sup>(30)</sup>.

### كتب السيرة والتاريخ :

يعتبر عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنه أول من وضع كتاباً في السيرة ثم تلاه أبان بن عثمان بن عفان وقد بلغ فن السيرة أوجه في كتاب محمد بن إسحق<sup>(31)</sup>. وقد سار الإمام الطبري في كتابه على طريقة المحدثين بأن يذكر الحوادث مروية بمقدار ما عنده من الطرق ويذكر السند حتى يتصل بصاحبه ، وقد نقل الطبري السيرة عن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد وموسى بن عقبة وابن إسحق<sup>(32)</sup>. يقول الإمام الذهبي مبينا الكتب والمصنفات التي اعتمد عليها في كتابه " تاريخ الإسلام " ، طالعت مؤلفات من الكتب ومصنفات كثيرة منها: دلائل النبوة للبيهقي

(29) مصطفى السباعي ، السيرة النبوية دروس وعبر ، دار التوزيع والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

(30) الخطيب البغدادي ، شرف اصحاب الحديث ص ٤٣

(31) الطبري- تاريخ الأمم والملوك - دار المعارف مصر ، ط الثانية ١٩٦٧ م ، ص ٢١/١

(32) الطبري ، المصدر نفسه ، ص ٢٤

## ← أ.د. حسن على الشايقي

وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن إسحق ، والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدي ، وتاريخ بن محمد عبدالله البخاري ومسند الإمام أحمد والجرح والتعديل ليحيى بن معين والجرح والتعديل لابن أبي حاتم وتاريخ الطبري وتاريخ بن أبي شيبه والكتب الستة<sup>(33)</sup>.

ويبين ابن كثير في كتابه البداية والنهاية أنه يعتمد في السيرة على القرآن الكريم والسنة الشريفة وما تعلمه من كبار المؤرخين كالطبري والواقدي وأصحاب السير<sup>(34)</sup>.

ويعد محمد بن إسحق عمدة المؤلفين في السيرة النبوية ، ويمكننا القول ، ما من كتاب وضع في السيرة بعد ابن إسحق إلا وهو غرفة من بحره وبالرغم من اختلاف الروايات حوله فقد وثقه غير واحد من الأئمة الأعلام كابن شهاب الزهري وشعبة والثوري وزياد البكائي<sup>(35)</sup>. كما وثقه أيضا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلى بن المدني . وشعبة ويزيد بن هارون .

ويقول عنه الإمام الذهبي ( والذي تقرر عليه العمل أن ابن إسحق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية مع أنه يشذ بأشياء وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام<sup>(36)</sup> .

وبهذا يمكننا القول إن مصادر السيرة هي القرآن والسنة وكتب السيرة والتاريخ.

### سيرة كاملة شاملة :

المقصود بذلك ، أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم موثقة من ميلاده إلى وفاته ، وقد بذل علماء السيرة جهدا عظيما في ذلك ، من ذلك ما ذكره بن القيم في كتابه زاد المعاد : من مولده ورضاعه وصباه وشبابه وزواجه وتجارته وسلاحه وأثاثه وملابسه وسراويله ونعاله وخاتمه وهديه في الأكل وهديه في النكاح ونومه وإنتباهه وشرائه وبيعه ومعاملاته ومسابقته ومصارعته حتى ذكروا قضاءه لحاجته صلى الله عليه وسلم<sup>(37)</sup>.

إن من يعتنق الإسلام اليوم يجد فيه نظاما شاملا للحياة وطريقة واضحة مفصلة لكل حياته أما من يعتنق النصرانية فإنه لا يجد شيئا من ذلك في الإنجيل ويضطر لأخذ ثقافته وحياته المدنية من الحضارة الأوروبية وثقافتها المادية الليبرالية<sup>(38)</sup>.

(33) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ١٢ - ١٣ - ١٩٩٨ م

(34) الحافظ بن كثير ، البداية والنهاية ، المقدمة ، مكتبة المعارف ، بيروت .

(35) مقدمة السيرة النبوية - مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ص ٤٦ - ١٩٣٦

(36) الذهبي - تذكرة الحفاظ - دار الفكر العربي ، مصر ١٧٢/١

(37) ابن القيم ، زاد المعاد - المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٨٩ هـ - ٣٤٨/١

(38) سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ، مرجع سابق ، ص ١٣٩

### سيرة جامعة :

المقصود بذلك ان سيرته صلى الله عليه وسلم جمعت مختلف الأحوال يقتدي بها اليتيم الذي فقد أمه وأباه والغني والفقير والذي يكسب الحرب أو يخسرهما كما يقتدي به الزوج والأب والجد ويقتدي به العالم والمتعلم ويقتدي به القاضي والحاكم والمرشد فما من حال يكون عليها المرء في حياته الفردية والاجتماعية إلا وفي السيرة نموذج لها وصورة مشرقة تصلح أن يتأسي بها الإنسان إلى يوم القيامة . وهذا من إعجاز السيرة الذي لا يتأتى لبشر كائنًا من كان ، هذا عدي بن حاتم الذي كان سيديا في قومه عندما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان يظنه ملكا مهابا وحاكما باطشا .

يقول عدي : دخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمتُ عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت عدي بن حاتم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بي إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها ، قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ، قال : ثم مضى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفا فخذفها إلى فقال : أجلس على هذه قال : قلت بل أنت فأجلس عليها<sup>(39)</sup> .

هذه الصورة تبين ما كان عليه بيت النبي صلى الله عليه وسلم من البساطة والزهد والخلو من متاع الدنيا وقد دانت له جزيرة العرب بأكملها وهو يزداد زهدا وتواضعا لله رب العالمين .

### سيرة عملية واقعية :

إن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم اتسمت بالإيجاب لا السلب حتى قبل بعثته فقد وصفته السيدة خديجة رضي الله عنها وهي من عرفته عن قرب وذلك عندما نزل عليه الملك فجاء إليها خائفا ، لأنه لم يعهد ذلك من قبل فهذأت من جاشه وربطت على قلبه وقالت له :

إن الله لا يخذلك أنك تصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتتصر المظلوم وتقري الضيف وتتصر على نواب الحق<sup>(40)</sup> .

(39) ابن كثير - السيرة النبوية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢ / ٣٠

(40) البخاري، فتح الباري ، ٢٦ ، ٢٠٤ ، ح ٦٩٨٢

## ← أ.د. حسن على الشايقي

هذه الصفات كلها صفات إيجابية متعددة يمتد خيرها للآخرين . فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وحسن الخلق والعبو عن المسييء وكان لا يدانيه أحد في ذلك ، حتى زكاه الله من فوق سبع سموات بقوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) . وأمرنا بالصلاة وحشا عليها وكان أحرص الناس على الصلاة المكتوبة وما فاتته على طول الأيام والسنين إلا في حالات نادرة شغل فيها بأمر المسلمين - وكان يقوم في صلاة الليل حتى تورمت أقدامه وحث المسلمين على الصوم فكان يصوم الاثنين والخميس ويصوم عاشورا وكان يقول: ( أفضل الصيام صيام داود ، كان يصوم يوما ويفطر يوما )<sup>(41)</sup> . وحب الإنفاق وحث المسلمين على الصدقة وكان يقول : ( من ترك ديننا فهو عليها ومن ترك مالا فهو لورثته )<sup>(42)</sup> . وكان ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر ، وكان كالريح المرسلة بالخير في رمضان ، ولم يكن في بيته يوم مات غير صاع من شعير وكانت درعه مرهونة عند يهودي في طعام استقرضه منه . وحث المسلمين على الجهاد وكان أشجع الناس ، فلا يكون أحد اقرب إلى العدو منه ، وكان الشجعان يحتمون به إذا اشتدت الحرب وحمي الوطنيس وقد كسرت رباعيته وشج وجهه وقتل عمه ولم يلف إلا صابرا محتسبا ( صلى الله عليه وسلم )<sup>(43)</sup> .

## المحور الثاني :

### (أ) تأسيس الدولة وإصلاح الحكم

لقد كانت هجرة نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة تعني نشأة أول دار للإسلام وكان ذلك إيذانا بظهور الدولة الإسلامية بإشراف مؤسسها الأول محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم هو بناء المسجد ويعني الصلة بالله سبحانه وتعالى والاهتمام بشعيرة الإسلام الأولى التي كانت أول ما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم وآخر ما أوصي به قبل موته عندما قال : الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم<sup>(44)</sup> . والعمل الثاني هو : المؤاخاة بين المسلمين عامة وبين المهاجرين والأنصار خاصة وهذا يعني تقوية صلة الأمة بعضها ببعض وبناء الدولة الإسلامية على

(41) البخاري - كتاب الصوم ج ٥٩ - البخاري بحاشية السندي ص ٣٣٨ - شركة القدس للنشر والتوزيع ، القاهرة .

(42) رواه البخاري ومسلم ، من حديث أبي هريرة ، ح ٥٥٦ ، فتح الباري ، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ،

(43) ابن القيم ، زاد المعاد ، المطبعة المصرية ٦٥/٢ ط ١٣٨٩هـ

(44) سنن التثنية ٣٤ : ٥ - ١٠

الإخاء بين المسلمين وليس على العصبية القبلية والعمل الثالث هو كتابة الوثيقة ( دستور المدينة ) الذي حدد نظام حياة المسلمين فيما بينهم ، وبين العلاقة مع غيرهم وخاصة اليهود الذين سكنوا المدينة قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إليها<sup>(45)</sup> .  
ولقد كان هم النبي صلى الله عليه وسلم خلال العام الأول من الهجرة إقرار الأمن والنظام في المدينة ، وقد تمكن من كسب ثقة الأوس والخزرج ، ونجح في أن يكون الحكم الذي يرجعون إليه في شؤونهم واستطاع أن يزيل بالتدرج الأسباب الداعية إلى النزاع والخصام بينهما ، ونجح كذلك في تهيئة الأرض المشتركة التي يلتقون فيها مع المهاجرين وكسب جانب اليهود الذين رأوا القبائل الأخرى في يثرب تلتقي حول قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لهم من بديل غير الدخول معه في نوع من العلاقة كبقية السكان وقد استغرقت دولة المدينة التي ضمت كل هذه العناصر عاما كاملا قبل أن يكتمل بناؤها النهائي<sup>(46)</sup> .

#### ١) بناء المسجد :

كان إنشاء المسجد هو الخطوة الأولى التي بدأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته لربط الجماعة الإسلامية ربطا وثيقا ، فقد جعل حضور صلاة الجماعة دليل الإيمان والتخلف عن الجماعة آية النفاق فكان يقول عليه الصلاة والسلام ( إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فأشهدوا له بالإيمان )<sup>(47)</sup> . وقال بعض اصحابه فيما بعد ، ولقد رأيتنا ولا يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، وساعد حضور المسلمين إلى المسجد خمس مرات في اليوم على عدة أمور جوهرية عميقة منها :

١- أنشأ تردد المسلمين على المسجد رابطة اجتماعية قوية تسهل التعارف بينهم وتساعد على معرفة أحوال افرادها وتفقد المريض والمحتاج وتشجع على تمكين التعاطف والتكافل الذي هو قوة النسيج الاجتماعي .

٢- كان القرآن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكان المسجد هو المكان الذي يتلقى فيه المسلمون كل رسالة جديدة رطبة من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في مثل هذا المناخ نشأت الوحدة الفكرية والنفسية ، فقد توافر

(45) محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة النبوية ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦م ، ص ١٤٢

(46) عون الشريف قاسم ، نشأة الدولة الإسلامية ، بيروت ط ٢ ، ١٩٨١م ، ص ٤١

(47) رواه الترمذي ، ح ٢٠٦١٧ وقال حسن غريب ، وعلة إسناده دراج بن سمعان ، قال الدار قطني ضعيف ، وصححه الحاكم في مسنده ، وتعقبه الذهبي وقال دراج بن سمعان كثير المناكير .

## ← أ.د. حسن على الشايقي

المكان الجامع وتكرار الاتصال وتلاحق الرسائل والتوجيهات مما كان سببا في تمتين الوحدة الفكرية والنفسية ، وبقي المسجد يؤدي هذا الدور ، وقد أضافت خطبة الجمعة لقاء اسبوعيا للقاء اليومي تصحبه خطبة جامعة تتناول الفلسفة العامة والقضايا المهمة التي تطرأ.

هذا الدور الذي قام به المسجد في نشأة الرسالة الإسلامية وتطور الجماعة يؤكد أن كل إصلاح للمجتمع في التاريخ الإسلامي لابد أن يرتبط بالمسجد إذا أريد له النجاح والارتباط بأصل هذا الدين<sup>(48)</sup>.

إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي فهو ساحة للعبادة ومدرسة للعلم وندوة للأدب وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق ونقايد هي لباب الإسلام ولكن الناس عندما أعياهم بناء النفوس على الأخلاق الجليلة استعاضوا عن ذلك ببناء المساجد السامقة تضم مصليين أقزاما ، أما الأسلاف الكبار فقد انصرفوا عن زخرفة المساجد وتشبيدها إلى تزكية أنفسهم وتقويمها فكانوا أمثلة صحيحة للإسلام<sup>(49)</sup>.

## ٢) الإخاء بين المهاجرين والأنصار:

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الدولة والمجتمع في المدينة على الإخاء الذي تذوب فيه العصبية الجاهلية وتسقط فوارق النسب واللون فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الاخوة عقدا نافذا لا لفظا فارغا وجعلها عملا يرتبط بالدماء والاموال.

وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة وتملاً المجتمع الجديد بأروع الامثلة .

حرص الأنصار على الحفاوة بإخوانهم المهاجرين فما نزل مهاجر على أنصاري إلا بقرة - وقدر المهاجرون هذا البذل الخالص فما استغلوه وما نالوا منه إلا بقدر ما يتوجهون إلى العمل الحر الشريف .

(48) عبدالرحيم على ، منهاج النبوة في الإصلاح الاجتماعي ، المركز القومي للإنتاج الإعلامي ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م ، ص

٥٦ - ٥٧

(49) محمد الغزالي ، فقه السيرة - دار المكتبة الحديثة ، مصر ، ص ١٩٠ - ١٩٧٠ .

روي البخاري : أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع : فقال سعد لعبد الرحمن : إنني أكثر الأنصار مالا ، فأقسم مالي إلى نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك ، فسمها لي فأطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلِكَ ومالك ابن سوقكم؟ فدلوه على سوق بين قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل في اقط وسمن - ثم تابع تجارته وتزوج امرأة من الأنصار وساق إليها نواة من ذهب .

وإعجاب المرء بسماحة سعد لا يعدله إلا إعجابه بنبل عبد الرحمن (50).

وقد ظلت حقوق الإخاء في التوارث مقدمة على حقوق القرابة إلى موقعة بدر ، حتى نزل قول الله تعالى (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ) (51).

والحكمة في إقرار حق التوارث ثم نسخه بعد ذلك ، إن نظام الميراث نفسه قائم على اخوة الإسلام بين المتوارثين إذ لاتوارث بين ذوي دينين مختلفين إلا أن الفترة الأولى من الهجرة وضعت كلاً من الأنصار والمهاجرين أمام مسؤولية خاصة من التعاون والتناصر ، بسبب مفارقة المهاجرين لأهلهم وتركهم ديارهم وأموالهم في مكة ونزولهم ضيوفاً على اخوانهم الانصار في المدينة ، فكان ما أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم من التآخي بين أفراد المهاجرين والأنصار ضماناً لتحقيق هذه المسؤولية ، فلما استقر أمر المهاجرين في المدينة وتمكن الإسلام فيها وغدت الروح الإسلامية هي العصب الطبيعي للمجتمع الجديد أصبح من الطبيعي أن يعود الميراث قاصراً على إخوة الرحم بين المسلمين (52).

ومن أعظم معاني الإيثار في جانب هذا الإخاء المتفرد على مر التاريخ ما ورد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد أن غنم أموال يهود بن النضير ، قال للأنصار (إن أحببتهم قسمت بينكم وبين المهاجرين مما أفاء الله على من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم وإن أحببتهم أعطيتهم وخرجوا من دوركم) ، فأجابته زعماء الأوس والخزرج: يارسول الله بل تقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار: رضينا وسلمنا يارسول الله (53).

(50) محمد الغزالي ، فقه السيرة ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، ص ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٧٥ .

(51) الآية (٦) سورة الأحزاب

(52) محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة النبوية ، دار الفكر بيروت ص ١٤٩ - ١٩٩٦ م . .

(53) الواقدي ، المغازي ، ٣٧٩/١ .

لقد نجحت التجربة لأن الأرضية التي أقيمت عليها والقيادة التي خططتها ونفذتها استكملت كل شروط النجاح في مجتمع شاب يحكمه مبدأ العطاء قبل الأخذ وتشده أواصر العقيدة وحدها ويوجهه الإيمان العميق في كل حركاته وأعماله ويقوده الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ضرب المثل الأعلى بتجرده وإيثاره وعطائه الدائم ، مثلا يحرك حتى الحجارة الصم ليتدفق منها الماء وسلك صلى الله عليه وسلم طريق الزهد والإيثار والإنفاق حتى وصفه أحد أصحابه بأنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر (54).

### (٣) وثيقة المدينة :

هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليقوم أول دولة للإسلام في أرض غير أرضه وبين قوم لم تكن بينه وبينهم قربة في الأواصر الاجتماعية المتعارف عليها يومئذ وشاء الله أن يكون مجتمع المدينة مجتمعاً مركباً معقداً فقد كانت فيه صراعات قبلية متوارثة بين الأوس والخزرج وكان فيه طائفتان من اليهود متعاديتان وكان للأوس حلفاء من اليهود وللخزرج منهم حلفاء ، وفي هذا النسيج المعقد جاء المهاجرون من المسلمين وهم جماعة من قريش ومنهم من كان من الموالي ومنهم غير ذلك .

وقد أحدثت الهجرة تغييراً في النسيج الاجتماعي حيث ألغى النبي صلى الله عليه وسلم الولاء القبلي وما كان يلحق به من تناصر وتكافل وما كان يلقي به من ظلال على نظام العدالة ( حكم القانون ) واستبدل بذلك نظاماً أبسط وأعدل ، وهو الذي أعاد تكوين المجتمع من مجموعة المهاجرين والأنصار وأصبح أهل المدينة كلها أنصاراً بحكم مناصرتها للنبي صلى الله عليه وسلم وإيوائها للمهاجرين ، ولم يعد للقبيلة الأهمية الأولى كما كان من قبل ، بل أصبحت عنصراً مساعداً في حفظ الأمن وفي التكافل والاستتفار ولكن في إطار أوسع هو إطار المؤمنين.

وقد أعادت صحيفة المدينة صياغة هذا النسيج في تشريعاتها التي تواتق عليها أهل المدينة ، ومن ذلك : هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفتدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(54) عماد الدين خليل ، دراسة في السيرة النبوية ص ١٢٩ - دار الفنائس بيروت ، ط الثالثة ٢٠٠٧ .

وذكرت الصحيفة مثل ذلك بنصه عن بني الحارث وبني ساعدة وبني جُشم إلى آخر بطون المدينة .

وذكرت الصحيفة عن اليهود نصوصا منها ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهود بني عوف أمة من المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته (55).

إن نصوص الصحيفة توافق القرآن الكريم في المبادئ العامة ، من حيث اعتبار المسلمين أمة واحدة من دون الناس ومن حيث التراحم والتعاون بينهم ومن حيث الاحتفاظ برابطة الولاء وما يترتب عليها من حقوق الموالاتة ، ثم من حيث مراعاة حقوق القرابة والصحبة والجوار ، كذلك تحديد المسؤولية الشخصية والبعد عن ثأرات الجاهلية وحميتها وفي وجوب الخضوع للقانون ورد الأمر إلى الدولة وأجهزتها للتصرف بالأمر ، وفي شؤون الحرب والسلم ، وأن حرب الأفراد وسلمهم إنما تدخل في الاختصاص العام فلا تحدث فرديا ، كذلك معاونة الدولة في إقرار النظام والأخذ على يد الظالم وعدم نصر المحدث وإيوائه (56).

لقد أقرت الصحيفة مفهوم الحرية الدينية بأوسع معانيه وضربت عرض الحائط مبدأ التعصب ومصادرة الآراء والمعتقدات ولم تكن المسألة تكتيكا مرحليا ريثما يتسنى للنبي صلى الله عليه وسلم تصفية أعدائه في الخارج ، إنما صدر هذا الموقف السماح المنفتح على اعتقاد كامل بأن اليهود وباعتبارهم أهل كتاب سيتجاوبون مع الدعوة الجديدة وينهضون لإسنادها في لحظات الخطر ضد العدو الوثني المشترك ، أو أنهم على أسوأ الاحتمالات سيكفون أيديهم عن إثارة المشاكل والعقبات ووضع العراقيل في طريق الدعوة.

لكن الذي حدث بعد قليل من إصدار الوثيقة وطيلة سني العصر المدني غير مجري العلاقات بين المسلمين واليهود لا شيء إلا لأنهم اختاروا النقض على الوفاء والخيانة على الالتزام والانغلاق على مصالحهم بدلا عن الانفتاح على الأهداف العامة الكبيرة للأديان السماوية جمعا .

(55) عبد الرحيم على ، منهج النبوة في الإصلاح الاجتماعي ، مرجع سابق ، ص ٦٤ .

(56) احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية والإسلام ، ص ٢٩٣ .

إن إصدار هذه الوثيقة يمثل تطورا كبيرا في مفاهيم الاجتماع السياسية ، فهذه جماعة تقوم لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة وعلى غير أساس رابطة الدم ، حيث انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار ثم انصهر المهاجرون والأنصار في جماعة المسلمين ، ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة في المدينة إلى أمد ولأول مرة يحكم القانون ، حيث ترد الامور إلى الدولة ، ومن خلال تغيير شامل وتحول سريع طوى الدستور صفحة اجتماعية طابعها القبيلة وفتح صفحة جديدة أكثر إيجابية وأقرب إلى التكافل والترابط والوحدة الفكرية (57).

### المحور الثاني :

#### (ب) مقومات الحكم الراشد ومسؤولياته:

##### أولاً: التزام الشورى في اختيار الحاكم :

يقول الله تعالى موجها الخطاب لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (58). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الناس مشورة بالرغم مما أيده الله به من الوحي وكمال الرأي واستقامة المنهج . ويقول الله تعالى في ذكر صفات المؤمنين ومدحهم (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ) (59). أي أنهم لا يبرمون أمرا هاما حتى يتشاوروا فيه ويتساعدوا بآرائهم (60). وتعد الشورى من أفضل صفات المؤمنين وواحدة من الدعوات التي يتأسس عليها مجتمع المسلمين وإدارة دفة أمورهم ، والمجتمع بلا شورى لا يسلك طريق الجاهلية فحسب بل يخالف قاعدة صريحة وقانونا قرره الله وشرعه (61). يقول الإمام الرازي في تفسير آية آل عمران ( فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (62).

(57) أنور الجندي ، الإسلام وحركة التاريخ ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(58) سورة آل عمران الآية ١٥٩

(59) الآية ٣٨ سورة الشورى

(60) ابن كثير ، مختصر الصابوني ، ٣ / ٢٨٠ دار القرآن الكريم بيروت ١٩٨١م

(61) أبو الأعلى المودودي ، الحكومة الإسلامية ص ٩٢ ، المختار الإسلامي للطباعة والنشر ١٩٧٧م

(62) آل عمران ١٥٩

المشاوره مأخوذة من قولهم ، شرت العسل ، أشوره ، أخذته من موضعه واستخرجته ، جاء عن الحسن وسفيان بن عيينة أنهما قالوا : ( إنما أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بذلك ليقتدي به غيره في المشاوره ، وقال : هو أن هذه الآية الكريمة نزلت عقب ما ابتلي به المسلمون يوم أحد وبالرغم من أن رأي من أشار على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالخروج لم يكن صوابا فإن الله أنزل الأمر بالعضو عنهم ومشاورتهم أيضا وهذا يؤكد أهمية الشورى<sup>(63)</sup> .

إن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاما سياسيا للدولة ، فهو طابع أساسي للجماعة كلها يقوم عليه أمرها كدعامه ثم يتسرب من الجماعة للدولة<sup>(64)</sup> .

### اختيار الخلفاء بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

معروف أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يعين خليفة بعده ، وترك هذا الأمر للمسلمين وفي هذا دليل على وجوب الشورى وعدم فرض حاكم على الأمة إلا برضاها واختيارها .

ولما توفى الله نبيه اجتمع الأنصار في سقيفة بن ساعدة ليختاروا خليفة لهم فذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة من المهاجرين ، وحصل نقاش طويل بين الفريقين ، فكان الأنصار يرون أنهم أحق بالخلافة على أساس أنهم هم الذين دافعوا عن الإسلام وحموه بأنفسهم وأموالهم وأنهم أصحاب الدار وهم الأكثرية .

بينما رأي الفريق الثاني أنهم أحق بهذا الأمر على اعتبار أنهم أول من عبد الله في الأرض وهم أولياء الرسول وعشيرته وهم الذين صبروا معه على شدة أذى قومهم واشتط البعض ونادي بأن يكون هناك خليفتان ، فرفض هذا الرأي من الجانبين خشية الانقسام ، ولقد كان مسار المناقشة في البداية خاطئا فليس الأمر أمر مفاضلة بين الفريقين ، ولكن الأمر من هو الأصلح ؟ ومن هنا اتجه الحوار في الاتجاه السليم .

فقد ذكر عمر مزايا أبي بكر رضي الله عنه ، موضعا مكانته العالية التي يقر بها الجميع ، كسبقة للإسلام وحسن بلائه في سبيله وطول صحبته وعظيم

(63) الرازي ، مفاتيح الغيب ج ٣ ، ص ١٢٠

(64) سيد قطب ، في ظلال القرآن ج ٦ ، ص ٢٩٢

## ← أ.د. حسن على الشايقي

أخلاقه ورسوخ إيمانه وعبر عمر عن كل ذلك قائلاً ( ليس فيكم من تتقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر)<sup>(65)</sup>.

طلب أبو بكر أن يبايع المسلمون عمر أو أبا عبيدة ولكن عمر وأبا عبيدة تقدموا لمبايعته وسبقهما إليه بشير بن سعد من الأنصار فبايعه وتتابع الناس فبايعوه من كل جانب ، فلما كان الغد جلس أبو بكر على المنبر وبايعه الناس مبايعة عامة ولما حضرت الوفاة أبا بكر أرجع الأمر للمسلمين ليختاروا ولكنهم طلبوا منه أن يختار لهم فاستشار كثيرا من الصحابة في تولية عمر ثم كتب للناس خطابا جاء فيه : ( أما بعد فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم ألكم خيرا ) وأمر به أن يقرأ على الناس ، فجمعوا وقرئ عليهم وقال لهم أبو بكر وهو مشرف عليهم (أترضون بمن استخلف عليكم ، فإنني ما استخلفت عليكم ذا قرابة وإنني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا فقال الناس ، سمعنا وأطعنا)<sup>(66)</sup>.

ولما طعن عمر طلب منه المسلمون أن يستخلف ، فقال : انظر فإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن اترك فقد ترك من هو خير مني ، ولن يضيع الله دينه ، فخرجوا ثم عادوا فقالوا له ، يا أمير المؤمنين .. لو عهدت عهدا ، فقال : ما أردت أن أتحمّلها حيا وميتا ، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم من أهل الجنة ، وهم : على وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، فليختاروا منهم رجلا ، فإذا ولوا واليا فأحسنوا مؤازرته وأعينوه.

فلما مات عمر جمع المقداد أهل الشورى في حجرة عائشة بإذنها وطلحة غائب فتنافسوا في الأمر ، فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم ؟ فلم يجبه أحد ، فقال : أنا انخلع منها ، فرضوا به وأعطوه موثقهم على أن يكونوا معه على من بدل وغير وان يرضوا من يختاره لهم وأعطاهم موثقه : ألا يخص ذا رحم وألا يأل المسلم نصحا ؟

وبقي عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها يلقي أصحاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومن في المدينة من أمراء الأجناد وأشرف الناس يشاورهم في الأمر ، حتى إنه لم ينم في الليلة الأخيرة وظل يجتمع بهذا وبذاك حتى صلاة الصبح.

(65) محمد ضياء الدين الرئيس ، النظريات السياسية الإسلامية ، ص ٤٠ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

(66) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ - ١٧٩

وفي صباح اليوم الرابع جمع المهاجرين والأنصار وأهل الفضل والسابقة وأمراء الأجناد ، فاجتمعوا حتى التحم المسجد بأهله ، ثم قال : أيها الناس .. أشيروا علي . فقال عمار بن ياسر ، إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع عليا ، وأيد المقداد ابن الأسود رأي عمار ، وقال بن سرحان : إن أردت ألا تختلف مع قريش فبايع عثمان وأيد هذا الرأي عبدالله بن ربيعة وتشاح الناس ، فقال عبدالرحمن : إنني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ، ودعا عليا وقال : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده ، قال : أرجو أن افعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي ، ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي ، قال : نعم .

فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال : اللهم اسمع وأشهد أنني قد جعلت ما في رقبتني من ذلك في رقبة عثمان ثم بايعه وبايع الناس جميعا<sup>(67)</sup> .

وقدم طلحة في يوم المبايعة وبعد تمامها ، فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك ، وإن أبيت رددتها ، قال : أتردها قال : نعم ، قال : أكل الناس بايعوك ؟ قال : نعم ، قال : قد رضيت ، لا أرغب عما أجمعوا عليه<sup>(68)</sup> .

إن مطالبة الناس عمرا أن يستخلف تعني أنهم أرادوا منه أن يرشح لهم كما فعل أبوبكر ، والخلافة لا تتعقد بعد ذلك إلا ببيعة أهل الرأي في الأمة .

ولقد كان اختيار عمر للسته المبشرين بالجنة ترشيحا لاشك فيه ، على أن يقوم الستة بترشيح واحدا من بينهم ، ولو كان الرأي لهؤلاء الستة لما كان عبدالرحمن رضي الله عنه في حاجة إلى أن يستشير المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد ثلاثة أيام بلياليها ولما كان في حاجة إلى أن يجمع الناس في المسجد بعد الصلاة ويسألهم أن يشيروا عليه ، ولم تتعقد البيعة إلا بعد مبايعة الناس جميعا لعثمان رضي الله عنه<sup>(69)</sup> .

ومما يدل على صحة عقد عبدالرحمن بن عوف لعثمان بن عفان رضي الله عنهما أنهم تشاوروا أياما وليالي ونظروا في أمرهم ورضوا بعبدالرحمن أميننا ومشيرا في هذا الباب ، وعقد عبدالرحمن لعثمان فخاطبه الجميع بأمر المؤمنين وعثمان من يصلح

(67) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ج ٣ ، ص ٢٧ - ٢٨

(68) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ٣٨/٥ ، ص ٤١

(69) سعيد حوي الإسلام ١٥٠/٢ / مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٧

## ← أ.د. حسن على الشايقي

العقد له والعهد إليه وعبدالرحمن في فضله ونبله وسابقته وعلمه ممن يصلح لعقد هذا الأمر ، بل هو من جملة أهل الحل والعقد<sup>(70)</sup> .

ولما قتل عثمان ذهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار إلى على يعرضون عليه أن يبايعوه ، فقال : لا حاجة لي في أمركم فترددوا عليه مرارا وصمموا على مبايعته فقال ، إذا في المسجد فاجتمع الناس وبايعوه<sup>(71)</sup> .

انتهى أمر الخلافة بعد مقتل على بن طالب رضي الله إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وذلك بعد أن تنازل الحسن بن على عن طواعية وآثر الحفاظ على دماء المسلمين وسمي ذلك العام بعام الجماعة وبايع الناس معاوية رضي الله عنه خليفة للمسلمين .

غير أن دولة بني أمية سارت بعد ذلك على نظام الملك بأن يعهد كل خليفة لمن بعده سواء كان أهلا لذلك أم لا .

ومن روائع مناصحة العلماء للأمرء في دولة بني أمية ، ما رواه الدارمي في مسنده ، قال : مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة ، فأقام بها أياما ، فقال : هل بالمدينة أحد أدرك أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا له : ابو حازم فأرسل إليه .

ودار بينهما نقاش طويل نورد جزءا منه :

قال سليمان : يا ابا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال لأنكم أخربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب ، قال : أصبت يا أبا حازم ، فكيف القدوم غدا على الله تعالى ؟ قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه ، فبكي سليمان وقال ليت شعري ما لنا عند الله ؟ قال : أعرض عملك على كتاب الله قال : وأي مكان أجده ؟ قال : " ( إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ) قال سليمان : فأين رحمة الله يا أبا حازم ؟ قال ابو حازم : رحمة الله قريب من المحسنين ، قال له سليمان : يا أبا حازم ، فأني عباد الله أكرم ؟ قال : أولو المروءة والنهي ، قال سليمان : فأني الأعمال أفضل ؟ قال ابو حازم : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال سليمان : فأني الدعاء أسمع ؟ قال : دعاء المحسن إليه للمحسن

(70) يوسف بن عبدالله بن عبدالبر ، التمهيد لما في الموطأ في الأسانيد ص ٢٠٨

(71) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ

فقال : أي الصدقة أفضل ؟ قال : للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها من ولا أذي . قال : فأبي القول أعدل ؟ قال : قول الحق عند من تخافه أو ترجوه .

قال : فأبي المؤمنين أكيس ؟ قال : رجل عمل بطاعة الله ودل لناس عليها ، قال : فأبي المؤمنين أحمق ؟ قال : رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره ، قال له سليمان : أصبت ، فما تقول فيما نحن فيه ؟ قال : يا أمير المؤمنين أو تعفيني ؟ قال له سليمان ولكن نصيحة تلقيها إلى ، قال : يا أمير المؤمنين : إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضاهم ، حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، فقد ارتحلوا عنها ، فلو شعرت ما قالوه وما قيل لهم ! فقال له رجل من جلسائه : بنس ما قلت يا أبا حازم ، قال أبو حازم : كذبت ، إن الله أخذ ميثاق العلماء ليُبَيِّنَنَّهُ للناس ولا يكتُمونه قال له سليمان : فكيف لنا أن نصلح ؟ قال : تدعون الصلف وتمسكون بالمروءة وتقسمون بالسوية . قال له سليمان : هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك ؟ قال أعوذ بالله : " قال له سليمان : ولم ذاك ؟ قال أخشى أن اركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ، قال له سليمان : ارفع إلينا حوائجك . قال : تتجيني من النار وتدخني الجنة قال له سليمان : ليس ذاك إلى - قال له أبو حازم : فمالي إليك حاجة غيرها . قال : فادع لي . قال أبو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى<sup>(72)</sup> .

فهذا إمام فاضل وحبر عالم لم تأخذه في الحق لومة لائم بل صدع به ولم يلحقه في ذلك خوف ولا فزع .

ولعل مثل هذه المناصحة الشجاعة هي التي كانت سبباً أن يوصي سليمان بن عبد الملك رحمه الله بالخلافة بعده لعمر بن عبد العزيز الذي أعاد الخلافة سيرتها الأولى وجعلها على نهج الخلفاء الراشدين .

إن كثيراً مما أصاب الأمة الإسلامية من الضعف والهوان وتفرق الكلمة يرجع إلى أسباب وعوامل داخلية قبل أن نرجعه إلى العوامل الخارجية ومن أهم هذه العوامل غياب الشورى في الحكم واستبداد الحكام وعدم أخذهم بالمشورة ولقد ابتليت الأمة الإسلامية بالنصيب الأوفر من ذلك .

(72) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ١ / ص ٣٣٧ / ٣٣٨

## ← أ.د. حسن على الشايقي

فالشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وهي خير وبركة<sup>(73)</sup>. وهي فضيلة إنسانية والطريق الصحيح لمعرفة أصوب الآراء والوصول إلى الحقيقة وجللاء الأمر لأن العقول كالمصابيح إذا اجتمعت ازداد النور ووضح السبيل<sup>(74)</sup>. وهي الطريق إلى وحدة الأمة الإسلامية ووحدة المشاعر الجماعية من خلال عرض المشكلات العامة وتبادل الرأي والحوار<sup>(75)</sup>.

والشورى تربية للفرد على أداء وظيفته الاجتماعية ليربى ملكاته وينمي قدراته حتى يكون أهلا للمشورة ويزداد من العلم والمعرفة ، ومن الناحية الأخلاقية فإن انفراد شخص بالفصل في أمر عام يتعلق بالجميع ، دون اعتبار للآخرين صفة أخلاقية مذمومة وخيانة للأمانة والمسؤولية .

والشورى عصمة لولى الأمر من الإقدام على أمور تضر الأمة ولا يشعر هو بضررها ولا سبيل إلى إصلاح هذا الضرر بعد وقوعه، وفي المشاورة تذكير للأمة بأنها صاحبة السلطان وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها في مباشرة السلطان وفي هذا وذلك عصمة من الطرفين الذي هو من صفات الإنسان كما في قوله تعالى ( كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِيْطَغَى )<sup>(76)</sup>. ولذلك من الصعب على الأمة التي اعتادت على المشاركة في شؤون الحكم أن تتنازل عن حقوقها ، بل تكون هذا الأمة متوجهة للخير في جميع أمورها وتنعكس هذه النتيجة على أوضاعها تقدما ورقيا ومن أهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية ابتعادها عن الشورى من بعد حكم الخلفاء الراشدين<sup>(77)</sup>.

أهل الحل والعقد ومؤهلاتهم  
أهل الحل والعقد:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب المشورة من الجمهور قائلا :  
(اشيروا عليّ ايها الناس )<sup>(78)</sup> ..

(73) القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، ط ٣ ، ١٦ ، ص ٣٧

(74) الشيخ عبدالمصنف محمود عبدالفتاح ، مجلة منبر الإسلام العدد ٨ أغسطس ١٩٧٤م ص ٥١ نقلا من كتاب الشورى

وأثرها في الديمقراطية للدكتور عبدالحميد إسماعيل الأنصاري ، دار الفكر العربي ، ص ٦

(75) عبدالكريم الخطيب ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٦٩ أكتوبر ١٩٧٠م ، ص ٤٧

(76) سورة العلق ، آية ٦

(77) عبدالحميد إسماعيل الأنصاري ، مرجع سابق ، ص ٧

(78) رواه مسلم مجلد ١٢ ص ١٢٤ كتاب الجهاد والسير ، غزوة بدر ، مسلم بشرح النووي .

والظاهر أن المقصود بالطلب ليست لعامة الناس والنبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يطلب الرأي إلا لدى القادر عليه إذا فالمقصودون هم بعض الصحابة ، والذين أطلق عليهم فيما بعد أهل الحل والعقد .

ومما يدل على أن عامة الناس لم يكونوا مقصودين بذلك أن الذين شاركوا في اختيار ابي بكر وعمر كانوا داخل المدينة من المهاجرين والأنصار (79).

يري المستشار على منصور أن من يشاورهم رئيس الدولة يختلفون باختلاف موضوعات المشاورة ، فإن كان من الأمور العامة التي تهم الجميع وجب مشاورة الجميع إن أمكن وإلا فجمهورهم وإلا فأهل الحل والعقد وهم في وقتنا الحاضر نواب الأمة أو مجلس الشعب (80) ويرى الأستاذ المودودي أنه قد تألف حتى في العهد النبوي ذلك المجلس الشوري من رجال معينين معلومين ، فلا يصح إذا ظن الذين قالوا إن الخليفة هو الذي كان يدعو للمشاورة من يشاء وفي أي وقت يشاء وبأي طريق يشاء (81).

وقد تكون المجلس من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا زعيمي المهاجرين بلا مدافع ولم يكن لهما ند في البصيرة الدينية والفهم السياسي ، وسعد بن معاذ وسعد بن عباد رضي الله عنهما زعيما الأوس والخزرج وعثمان رضي الله عنه قائد بني أمية وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه زعيم بني زهرة وعلى بن أبي طالب زعيم بني هاشم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت الذين كانوا من نوابغ العلوم القرآنية ، والفقهاء الإسلامي (82).

وسواء استخدمنا مصطلح أهل الحل والعقد أو أهل الشوري ، ماهي المؤهلات المطلوبة في اختيارهم وتعيينهم ؟  
مؤهلات أهل الحل والعقد

يري الإمام الماوردي ، أن الشروط المعتبرة فيهم ثلاثة أحدها ، العدالة الجامعة لشروطها ، والثاني ، العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها .

(79) عبدالحميد اسماعيل الأنصاري - دكتور ، الشوري وأثرها في الديمقراطية ، دار مقارنة ، ص ٢٣٠

(80) علي منصور ، نظم الحكم والإدارة ص ٢٧١

(81) المودودي ، نظرية الإسلام وهدية ، ص ٢٨٩

(82) عبدالحميد الأنصاري - الشوري وأثرها في الديمقراطية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤

## ← أ.د. حسن على الشايقي

والثالث الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للأمامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف ، وليس لمن كان من بلد الإمام على غيره من أهل البلاد فضل مزية يقدم بها إنما صار من يحضر ببلد الإمام متوليا لعقد الإمامة عرفا لا شرعا لسبق علمهم بموته ولأن من يصلح للخلافة في الأغلب موجودون في بلده<sup>(83)</sup>.

وإذا أردنا أن نعبر عن هذه الشروط بلغة العصر الحديث قلنا إنها عبارة عن الأخلاق الدينية الفاضلة ، والعلم بأحكام هذا المنصب في الدين والثقافة والخبرة السياسية ويفهم من الشرطين الأخيرين أن رأي غير المثقف ، ومن باب أولى الأمي لا يعتد به لأنه يكون غير قادر على الاختيار وأشار النووي في كتاب المنهاج على أنهم العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسر اجتماعهم .

وهذا فيه بعض التعيين ، فيه نص على " العلماء " ولكن لا نستطيع تحديد القسمين الآخرين ، إذ لا ندري ما صفة الرئاسة أو معني الوجاهة بوجه قاطع ، ولكن يظهر أنه يقصد قادة الأمة أو العناصر البارزة فيها أو الذين يمثلون مصالحها ، وعلى كل فإنه لا بد أن تكون متوافرة فيهم الشروط التي نص عليها الماوردي<sup>(84)</sup>. ويرى الشيخ محمد عبده أن أولوا الأمر في زماننا هذا هم كبار العلماء ورؤساء الجند والقضاة وكبار التجار والزراع وأصحاب المصالح العامة ومديرو الجمعيات والشركات وزعماء الأحزاب ونابغوا الكتاب والأطباء والمحامون الذين تثق بهم الأمة في مصالحها وترجع إليهم في مشكلاتها<sup>(85)</sup>.

ويرى الشيخ محمود شلتوت أنهم ( أهل النظر الذين عرفوا في الأمة بكمال الاختصاص في بحث الشؤون وإدراك المصالح والغيرة عليها وليس من شك أن شؤون الأمة متعددة ففي الأمة جانب القوة وفيها جانب القضاء وفيها جانب المال وفيها جانب السياسة الخارجية ، لكل جانب رجال عرفوا فيه بنضج الآراء وعظيم الآثار وهؤلاء الرجال هم أولوا الأمر في الأمة وهم أهل الإجماع الذين يكون اتفاقهم حجة يجب النزول عليها<sup>(86)</sup>.

(83) الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٦ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

(84) محمد ضياء الدين الرئيس النظريات السياسية الإسلامية ص ٢٢٣ - ٢٢٤ - دار التراث القاهرة ١٩٧٦م

(85) محمد عبده ، تفسير المنار ج ٥ ص ١٩٨

(86) محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٤٦٣ -

### ثانياً: الحرية:

إن لفظ الحرية وما اشتق منه في العربية يفيد معنى مضاداً لمعنى الرق والعبودية، فالحر من ليس بعبد، فالظاهر أن لفظ الحر والحرية من الألفاظ ذات المعاني النسبية، إذ هي التخلص من الرق والعبودية فلا يتصور معناها إلا بعد ملاحظة معنى الرق والتوقف عنده، والعبد إسم للأدومي المملوك لآخر، وليست الحرية التي نبحت عنها هي هذه، فلفظ الحرية معني حديث استعمله فيه المولودون على وجه المجاز فشاع شيوعاً واسعاً بين الناطقين بالعربية.

هذا المعنى الحديث هو: عمل الإنسان ما يقدر عليه من عمل حسب مشيئته لا يصرفه عن عمله أمر غيره.

ولقد استعمل هذا اللفظ في هذا المعنى منذ أول القرن الثالث عشر الهجري الثامن عشر الميلادي بعد أن ترجمت كتب الثورة الفرنسية التي قامت سنة ١٧٨٩م فهي التي عبرت عن الحرية بمعني فعل الفاعل لما يريد.

وهو يقارن في العربية ما يعبر عنه بلفظ الانطلاق أو الانخلاع من ريقه التقيد<sup>(87)</sup>.  
تنقسم الحرية إلى حرية اعتقاد وحرية تفكير وحرية قول وحرية فعل هذه الحريات الأربعة محدودة في نظام الاجتماع الإسلامي بما حددت به شريعة الإسلام أعمال الأمة الإسلامية في تصرفاتهم الفردية والجماعية في داخل البلاد ومع الأمم المجاورة والمتعاملة من جلب مصلحة للمسلمين ودرء المفسدة عنهم ومن سلوك أمثل الطرق السياسية لتأمين الأمة من الأعداء ومكرهم<sup>(88)</sup>.

### حرية الاعتقاد:

الإيمان الصحيح المقبول يجيء وليد يقظة عقلية واقتناع قلبي، إنه استجابة الإنسان العاقل للحق ثم اعتناقه عن رضا ورغبة وقد عرض الإسلام نفسه على الناس في دائرة هذا المعنى المحدد غير متجاوز له في قليل ولا كثير.

قصاراه أن يوضح مبادئه، وأن يمكّن الآخرين من الوقوف عليها فإذا شاءوا دخلوها راشدين وإذا شاءوا تركوها وافرين<sup>(89)</sup>.

(87) محمد الطاهر عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ١٥٠ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ط الثالثة، ١٤٣١،

٢٠١٠م

(88) المرجع نفسه، ص ١٦٠

(89) محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص ٨٤ دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع

الإسكندرية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٢

### لا إكراه في الدين :

الإسلام لا يُكره أحداً على تبديل عقيدته واعتناقه الإسلام ، وإن كان يدعو إلى ذلك ، ولكن الدعوة إلى الإسلام شيء والإكراه عليه شيء آخر ، فالأول مشروع والثاني ممنوع ، قال تعالي في الدعوة إلى الإسلام (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )<sup>(90)</sup> . وقال في الإكراه (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ )<sup>(91)</sup> . ومن القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية ( تركهم وما يدينون ) .

فلا تتعرض الدولة الإسلامية لغير المسلم في عقيدته وعبادته ، وفي كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران : ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله علي أموالهم وملتهم وبيعتهم وكل ما تحت أيديهم<sup>(92)</sup> . وما زالت البيع والكنائس موجودة في الدولة الإسلامية في مختلف العصور لا تمس بسوء لا من المسلمين ولا من الدولة ، بل تحميها الدولة وتمكن لأصحابها القيام بالعبادة فيها . عقوبة المرتد لا علاقة لها بحرية العقيدة

ويجب ألا يُخلط ما قلناه بمسألة عقوبة المرتد ، أي عقوبة المسلم إذا خرج من الإسلام ، فهذا شيء وما قلناه عن حرية العقيدة شيء آخر ، فالمسلم بإسلامه يكون قد التزم بأحكام الإسلام ، فإذا ارتد فقد أخل بالتزامه وأساء إلى الدولة وتجراً عليها فيستحق العقاب ، لأن إخلال الشخص بالتزامه يوجب عليه الجزاء كما هو معروف في القانون<sup>(93)</sup> .

إن الإسلام ليس عقيدة قلبية مجردة بل هو سلوك اجتماعي بعيد الآماد يعرض لحياة الإنسان من المهد إلى اللحد .

ويمد سرادقه ليشمل المدرسة والمحكمة والبيت والشارع والسوق وما خفي من أحوال النفس وما تلا من شؤون الدولة .

وعلي ضوء هذا هل يبيح الإسلام حرية الخروج عليه ، ليس هناك نظام يعطي على نفسه صكاً بحرية الخروج عليه ، لقد أباح الإسلام لليهود والنصارى أن يعيشوا

(90) سورة النحل آية ١٢٥

(91) البقرة ٢٥٦

(92) ابويوسف ، الخراج ، ص ٩١

(93) عبدالكريم زيدان ، الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية ص ٦٦- ٦٧ مكتبة المنار الكويت ١٩٦٥م

إلى جواره في مجتمع واحد لهم فيه ما للمسلمين وعليهم فيه ما على المسلمين فلماذا يترك هؤلاء أو أولئك دينهم ويدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه ؟ إن الإرتداد قلما يكون أمرا قلبيا وحسب ، ولو كان كذلك ما أحس به من أحد ، إن الإرتداد في أغلب صورته ستار نفسي للتمرد على العبادات والتقاليد والشرائع والقوانين ولذلك كثيرا ما يرادف الإرتداد جريمة الخيانة العظمي وتكون مقاومته واجبا مقدسا ، وأي دولة لا تلام على موقفها الصارم من المرتدين عندما يكون موقفهم طعنة لوجودها<sup>(94)</sup> .

### ثالثا: المساواة :

المساواة في الشريعة الإسلامية أصل عظيم ، فالإسلام يقرر مساواة البشر جميعا في أصلهم الأول ، ويجعل تفاضلهم على أساس العمل الصالح وما يقدمونه من خير ، قال تعالي (يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ )<sup>(95)</sup> . فأصل البشر واحد ، وما جعلهم شعوبا وقبائل إلا ليتعارفوا وما يؤدي إليه التعارف من تعاون ، لا يتفاخروا بانسابهم وما يؤدي إليه هذا التفاخر من بغى ، وليس هو طلب للامتياز على أساس الجنس والأصل والقبيلة ، وبذلك اجتث الإسلام جذور العصبية الجاهلية والتفاخر بالإنساب والألوان. وصار ميزان التفاضل بين البشر قائما على أساس ما يكسبونه من جميل الصفات وما يقدمونه من صالح الأعمال وما في نفوسهم من معاني التقوي . وأصل المساواة في الشريعة عميق الجذور نجد مظاهره في كثير من أحكام الشريعة ومبادئها نذكر من ذلك المساواة أمام القانون والمساواة أمام القضاء .

### المساواة أمام القانون :

المساواة أمام القانون مظهر من مظاهر مبدأ المساواة وهو ما يقضي به العدل الذي جاء به الإسلام ، فالقانون يطبق على الجميع دون محاباة لاحد ولا تمييز لفرد على آخر بسبب الجنس أو اللون أو المنصب أو الغني أو القرابة أو الصداقة بل وحتى العقيدة ، أو غير ذلك مما يختلف فيه الناس ، جاء في الحديث ( إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها )<sup>(96)</sup> .

(94) محمد الغزالي ، حقوق الإنسان ، بين تعاليم الإسلام واعلان الأمم المتحدة ص ٩٣/٩٤ ، مرجع سابق

(95) آية ١٣ سورة الحجرات

(96) أخرجه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنه ح ٦٧٨٨ ، البخاري بحاشية السند ، ص ١٧٣ ، شركة القدس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م ، تيسير الوصول ج ٢ ص ١٤ والحديث رواه

## ← أ.د. حسن على الشايقي

وإذا طبق القانون على الضعيف دون القوي فإن عامة الناس يشعرون بخيبة أمل ويضعف ولاؤهم للدولة ولا يهتمهم بقاؤها أو هلاكها ويشيع الظلم في المجتمع لأن الحق القوي لا للمحق .

وفي هذه الحالة فلا بقاء للدولة ، ولهذا قيل : " ( تبقى الدولة العادلة وإن كانت كافرة وتفني الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة )<sup>(97)</sup> .

إن الإسلام قد ساوى بين الناس في تطبيق القانون وساوى بينهم أمام القضاء ، فما هو سر هذه المساواة .

إن مبدأ المساواة الذي اعتنقه المسلمون ومحا من أذهانهم نظام الطبقات ، نابع من عقيدة التوحيد ذاتها ، فقد تعلم المسلمون من أصل دينهم أن الذي تعنوا له الوجوه هو قيوم السموات والأرض وحده ، وأن البشر قاطبة ينتظمهم سلك العبودية المطلقة لله وحده ، وإذا تطاول أحد فوق العباد وجب قمعه حتى يستكين في مكانه لا يعدوها .

يقول تعالي (إن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) { ❖ } لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا { ❖ } وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا )<sup>(98)</sup> .

### رابعاً: شرعية المحاسبة والمسؤولية

#### مسؤولية الحاكم :

جعل الإسلام لولاية الأمر مكانة عظيمة حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم " إذا خرج ثلاثة في سفر فيلزموا أحدهم " <sup>(99)</sup> .

فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع.

ولهذا كان السلف - كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون : لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان <sup>(100)</sup> .

وكما جعل الإسلام هذه المكانة للإمارة فقد أوجب على المسلمين مناصحته - فقد روي الإمام أحمد قول النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله يرضي لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً وأن تتاصحوا من ولاة الله عليكم <sup>(101)</sup> .

(97) عبدالكريم زيدان ، الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ص ٥٧-٥٨

(98) سورة مريم آيات ٩٣-٩٥

(99) رواه ابوداود من حديث ابى سعيد وابى هريرة ، اسناده حسن .

(100) ابن تيمية ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ص ١٣٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٥

تميز السيرة النبوية وتفردتها في خصائصها ودورها في إصلاح الحاكم والمجتمع →

وقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم القواعد والأسس للحاكم الراشد وجاء من بعده خلفاؤه الراشدون وسلكوا نهج النبوة فضربوا أروع الأمثلة في العدل ومحاسبة النفس بل طلبوا من رعاياهم المناصحة والطاعة في المعروف .  
وتتحصر واجبات الحاكم في أمرين هما : إقامة الإسلام وإدارة شؤون الدولة في حدود الإسلام - وهذا يعني إدارة الدولة في حدود الشوري لأن الإسلام يجعل الشوري فريضة على المسلمين ويلزم الحكام استشارة المحكومين وعلى المحكومين مناصحة الحكام<sup>(102)</sup> .  
فقد جاء في خطبة ابي بكر بعد توليه الخلافة :

"أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم<sup>(103)</sup> .

ولما أدرك أبا بكر الموت لم يكن لديه من مال الخلافة إلا ناقه وغلام فقد روي القاسم عن عائشة رضي الله عنها : أن أبا بكر حين حضره الموت قال : إني لا أعلم عند آل ابي بكر غير هذه اللقحة وغير هذا الغلام الصيقل ، كان يحمل سيوف المسلمين ويخدمنا ، فإذا مت فادفعيه إلى عمر ، فلما دفعته إلى عمر ، قال : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده<sup>(104)</sup> .

ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشعر مسؤولية الحكم بدرجة عالية ، وجمع صلاح أمر الحكم في ثلاث ( أداء الأمانة والأخذ بالقوة والحكم بما أنزل الله ، وصلاح المال في ثلاث ( أن يؤخذ من حق ويعطي في حق ويمنع من باطل ) .  
وعاهد الناس فقال :

"لکم علیّ ألا اجتنی شیئاً من خراجکم ولا ما أفاء الله علیکم إلا من وجهه ، ولکم علیّ إذا وقع فی یدیّی ألا یرج منی إلا فی حقّه ، ولکم علیّ أن أزیّد عطاياکم وارزاقکم إن شاء الله وأسد ثغورکم ، ولکم علیّ ألا ألقیکم فی المهالك ولا أجمركم ، أي أحبسکم فی ثغورکم فإذا غبتم فی البعوث فأنا أبو العیال حتی ترجعوا

(101) اخرجه أحمد ومسلم في كتاب الأفضية

(102) ابن كثير البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٨

(103) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ص ٩ مكتبة الصفا القاهرة ٢٠٠٣

(104) سعيد حوي الإسلام ص ١٠٦ مكتبة وهبة، القاهرة .

إليهم ، فاتقوا الله عباد الله ، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم<sup>(105)</sup>.

### ويذكر الماوردي واجبات الإمام في عشر نقاط هي :

- ١- حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة (صون العقيدة والشريعة).
  - ٢- تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة فلا يتعدي ظالم ولا يضعف مظلوم ( إقامة القضاء ).
  - ٣- حماية البيضة والذب عن الحريم لينصرف الناس في المعاش وينتشروا في الأسفار ، آمنين من تغرير بنفس أو مال ( الأمن العام ).
  - ٤- إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالي عن الانتهاك ، وتحفظ حقوق عباده عن اتلاف واستهلال ( تنفيذ الأحكام الجنائية ).
  - ٥- تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لاتظهر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرما ، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دما (إعداد وسائل الدفاع).
  - ٦- جهاد من عادي الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة للقيام بحق الله تعالي في إظهاره على الدين كله (الجهاد ضد الأعداء) .
  - ٧- جباية الفبيء والصدقات على ما وجه الشرع ، نصا واجتهادا من غير خوف ولا عسف ( جباية الأموال ).
  - ٨- تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير ( توزيع الحقوق والرواتب ).
  - ٩- استكفاء الأمانة وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمانة محفوظة (اختيار الأكفاء الأمانة للمناصب) .
  - ١٠- أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة ( الأشراف المباشر على الأمور ) .<sup>(106)</sup>
- وهكذا يمكننا القول إن مقومات الحكم الراشد وفقا للهدى النبوي الشريف تتلخص في الشورى وعدم الاستبداد بالرأى في أمور الحكم وبسط الحرية للناس إذ لا إكراه في الدين والمساواة بين الناس بإنصافهم من ولادة الأمر ومنع الظلم عنهم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ومناصحة الحكام ومحاسبتهم ، فإذا كان ذلك استقام أمر الناس وتحققت خيرية الأمة .

(105) العقاد ، عبقرية عمر ، ١١١ ، المكتبة العصرية ، بيروت .

(106) الماوردي / الأحكام السلطانية ، مرجع سابق ، ص ١٠

## الخاتمة:

في ختام هذا البحث أقول : إن معرفة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والتأسي بها مفتاح نجاح المسلم في الدنيا والآخرة .

ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك وحضنا عليه في قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب (٢١)).

والسيرة النبوية سجل حافل بالمآثر مليء بالمكرمات مفعم بالفضائل وهي كنز المواعظ والعبر التي ترشد إلى الخير وتوقظ الهمم وتشحذ العزائم وتزكي الإيمان وترسم الطريق إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى وتبين المعالم أمام الدعاة والمصلحين وتجسم القيم والمبادئ الرفيعة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده ، واقعا عمليا محسوسا به تستثير العقول وتصلح به القلوب وتزكو به النفوس وتهتدي به الأجيال على مر الدهور والأزمان.

إن سيرته صلى الله عليه وسلم هي سيرة خاتم النبيين وإمام المرسلين ولهذا تميزت عن سيرة الأنبياء عليهم السلام بكاملها وتمامها وشمولها وواقعيتها وقبل ذلك بوضوح وصحة مصادرها ، فالإسلام هو الدين الخاتم ولا يقبل الله ديناً غيره بعد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون هم أمة الخيرية التي تؤمن بالأنبياء جميعاً وتأمراً بالمعروف وتنتهي عن المنكر وبهذا تتحقق خيريتها.

والمتمثل في السيرة النبوية يجد أن منهجه تطور تطوراً منسجماً مع سنن الله في الكون ، فكانت دعوته في مكة دعوة سلمية وأمر أصحابه باحتمال الأذى والصبر وعرض دعوته على القبائل ووفود الحجاج الذين يفتدون إلى مكة ، حتى كانت بيعة الأنصار الأولى والثانية والتي تكفلوا فيها بحماية النبي صلى الله عليه وسلم لتبليغ دعوته وإقامة دولة الإسلام فاكتملت مكونات الدولة ومقوماتها وإذن لهم بالقتال رداً للظلم والعدوان ، فلم يكره النبي صلى الله عليه وسلم أحداً على الدخول في الإسلام وأقرّ حقوق الآخرين من اليهود وغيرهم في وثيقة المدينة التي كانت وما تزال تطورا كبيرا في مفاهيم الاجتماع السياسية فقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم دولة الإسلام على قيم الحق والحرية فانصهر المهاجرون والأنصار في جماعة واحدة وعملت الصحيفة على جعل اليهود أمة مع المسلمين لهم حقوق وعليهم واجبات الحماية والنصرة على من حارب أهل الصحيفة باعتبار أن الجميع مواطنون يشتركون في وطن واحد ، وينعم اليهود بالأمن والطمأنينة والرفاه ما استقاموا على ذلك.

هذه السيرة العظيمة نموذج حي باق مع الأيام ومتمى عاد المسلمون للتأسي بها كان التوفيق والنجاح والعزة والكرامة والفوز حليفهم.

مصداقا لقوله تعالى( وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وأنت لتهدى إلى صراط مستقيم ) (الشورى ٥٢) .  
والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل..

### المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ .
- ٢- ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، المطبعة المصرية ، ١٣٧٩هـ.
- ٣- ابن كثير ، مختصر الصابوني ، بيروت ، ١٩٨١م .
- ٤- أبوالأعلى المودودي ، الحكومة الإسلامية ، المختار الإسلامي ، للطباعة والنشر ، ١٩٨٨م.
- ٥- البخاري ، البخاري بحاشية السندي ، دار القدس ، القاهرة ، ٢٠٠٧م .
- ٦- سعيد حوي ، الأساس في السنة وفقهها ، السيرة النبوية ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٥م .
- ٧- سعيد حوي ، الإسلام ، مكتبة وهبة ، ١٩٧٧م.
- ٨- سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ، مجمع البحوث العلمية ، الجامعة الإسلامية ، إسلام آباد ، ١٩٨٦م .
- ٩- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٠- شبلي النعماني ، فن السيرة النبوية ، تاريخ وأصول ، مقدمة كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث .
- ١١- عبدالحميد إسماعيل الانصاري ، الشورى وأثرها في الديمقراطية ، دار الفكر العربي - القاهرة ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- ١٢- عبدالرحيم على ، منهاج النبوية في الاصلاح الاجتماعي ، المركز القومي للإنتاج الإعلامي ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- ١٣- عبدالكريم زيدان ، الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية ، مكتبة المنار ، الكويت ١٩٦٥م .
- ١٤- عون الشريف قاسم ، نشأة الدولة الإسلامية ، بيروت ١٩٨١م .
- ١٥- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن .

تميز السيرة النبوية وتفردتها في خصائصها ودورها في إصلاح الحاكم والمجتمع →

- ١٦- محمد الطاهر عاشور ، النظام الاجتماعي في الإسلام ، دار سحنون للنشر والتوزيع .
- ١٧- محمد الغزالي ، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ، دار الدعوة للطباعة والنشر ، الإسكندرية ١٩٩٢ م .
- ١٨- محمد الغزالي ، فقه السيرة النبوية ، دار المكتبة الحديثة ، مصر ١٩٧٠ م
- ١٩- محمد سعيد رمضان البوطي ، فقه السيرة النبوية ، دار الفكر ، بيروت ١٩٩٦ م .
- ٢٠- محمد ضياء الدين الرئيس ، النظريات السياسية الإسلامية ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
- ٢١- محمد عبده ، تفسير المنار .
- ٢٢- محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة .
- ٢٣- المودودي ، نظرية الإسلام وهديه .
- ٢٤- يوسف بن عبد البر ، التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد .